هوية القدس الثقافية

أ.د. خليل عوده
عميد كلية الآداب
جامعة النجاح الوطنية

موضوع الهوية موضوع شائك يتعدى حدود الزمان والمكان إلى اللغة والدين والثقافة والعادات والتقاليد، ومن يملك هذه الأشياء يملك الهوية التي تعني الانتماء والأصالة، وليس الانتساب أو التقرب، وهذا البحث يركز بشكل خاص على هوية القدس الثقافية، من حيث جذورها الأولى، وعلاقتها بالإنسان حضارة وأصالة. وقد تكون نقطة الدخول إلى الموضوع من الوثيقة السياسية والدينية التي دخل فيها المسلمون مدينة القدس دخولاً حضارياً حدد معالم المستقبل لهذه المدينة، وحدد معالم الهوية الثقافية الخاصة بها

وهنا تكمن خصوصية المدينة المقدسة، وخصوصية العهدة التي عرفت في التاريخ بالعهدة العمرية، والتي حددت المعالم الثقافية لمدينة القدس، من خلال الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب، وأرسى بها قواعد أسس الثقافة العربية والإسلامية القائمة على التسامح والمحبة والإخاء والمساواة والعدل، وإذا كنا نفهم الهوية على أنها وعاء الضمير الجمعي لأي تجمع بشري، وأنها الملكية الخاصة التي تميز حضارة شعب عن غيرها من حضارات الشعوب الأخرى، فانه يمكن تحديد الهوية الثقافية على أنها العنوان الأبرز لأي شعب من الشعوب، وهي التي تحدد جوانب التميز والخصوصية، ومن هذا التميز وهذه الخصوصية تكتسب مدينة القدس هويتها الثقافية الخاصة التي تجمع أبناء المدينة المقدسة في عدد من المعطيات والمكونات الخاصة التي تشكل في مجملها قواسم مشتركة لسكان المدينة المقدسيين، وتحدد معالم الهوية الخاصة بهم.

وإذا كانت الهوية الثقافية عنواناً لأي شعب من الشعوب، فان هذه الهوية لا تأخذ صفة الثبات، وإنما تخضع لمتغيرات كثيرة، غير أن الهوية الثقافية للقدس تحظى بخصوصية الثبات، لأنها تستمد محاورها الأساسية من العهدة العمرية، التي حددت معالم الهوية الثقافية لمدينة القدس، والتي تقوم أساساً على قواسم مشتركة بين سكان من ديانات مختلفة، تجمعها جميعاً ثقافة واحدة، تقوم على الجمع وليس التفريق، والاحترام وليس الاحتواء، والحرية وليس

القهر، والعدل وليس الظلم، وجاءت هذه الثقافة من خلال شواهد لا يمكن لها أن تلغى، وهـــي عهد الله وذمة الرسول، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين، وفي المقابل تشترط الهوية الثقافية إلزام الطرف الآخر بما تم الاتفاق عليه، لتكون الثقافة مشتركة بين سكان مختلفــين فـــي الـــدين ، ومتفقين في الهوية الثقافية.